

روح المعاني

ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها من الله تعالى حق فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بلى ولكنكم أحدثتم وحدثتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق وكنتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس فبرئت من إحداثكم قالوا : فانا نلأخذ بما فى أيدينا فنا على الهدى والحق ولانؤمن بك ولانتبعك فأنزل الله تعالى فيهم قل يا أهل الكتاب لستم على شيء أى دين يعتد به ويليق بأن يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفى هذا التعبير ما لا يخفى من التحقير ومن أمثالهم أقل من لاشء حتى تقيموا التوراة والأنجيل أى تراعوها وتحافظوا على ما فيهما من الأمور التى من جملتها دلائل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته فان إقامتها وتوفية حقوقهما إنما تكون بذلك لبالعمل بجميع ما فيهما منسوحا كان أو غيره فأن مراعاة المنسوخ تعطيل لهما ورد لشهادتهما وما أنزل اليكم من ربكم أى القرآن المجيد وإقامته بالإيمان به وقدمت إقامة الكتابين على إقامته مع أنها المقصودة بالذات رعاية لحق الشهادة استنزالا لهم عن رتبة الشقاق وقيل : المراد بالموصول كتب أنبياء بنى إسرائيل عليهم الصلاة والسلام وقيل : الكتب الآلهية فانها كلها ناطقة بوجوب الإيمان بمن ادعى النبوة وأظهر المعجزة ووجوب طاعة من بعث اليهم له وقد مر تمام الكلام على مثل هذا النظم الكريم وكذا على قوله تعالى : وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا والجملة مستأنفة كما قال شيخ الاسلام مبنية لشدة شكيمتهم وغلوهم فى المكابرة والعناد وعدم إفادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم لتأكيد مضمونها وتحقيقه ونسبة الإنزال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسبه فيما مر اليهم للانباء عن انسلاخهم عن تلك النسبة وإذا أريد بالموصول النعم التى أعطىها صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فأمر النسبة ظاهر جدا .

فلا تأس على القوم الكافرين أى لا تأسف ولا تحزن لزيادة طغيانهم وكفرهم فان غائلة ذلك موصولة بهم وتبعته عائدة اليهم وفى المؤمنين غنى لك عنهم ووضع المظهر موضع المضمحل للتسجيل عليهم بالرسوخ فى الكفر وقيل : المراد لا تحزن على هلاكهم وعذابهم ووضع الظاهر موضع الضمير للتنبيه على العلة الموجبة لعدم الأسى ولا يخلو عن بعد إن الذين آمنوا كلام مستأنف مسوق للترغيب فى الإيمان والعمل الصالح .

وقد تقدم فى آية البقرة الاختلاف فالمراد من الذين آمنوا والمروى عن الثورى أنهم الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون وهو الذى اختاره الزجاج واختار القاضى أن المراد بهم المتدينون بدين محمد صلى الله عليه وسلم مخلصين كانوا أو منافقين وقيل : غير ذلك

والذين هادوا أى دخلوا فى اليهودية والصائبون وهم كما قال حسن جلى وغيره : قوم خرجوا عن دين اليهود والنصارى وعبدوا الملائكة وقد تقدم الكلام على ذلك وفى حسن المحاضرة فى أخبار مصر القاهرة لجلال السيوطى مالفظة : ذكر أئمة التاريخ أن آدم E أوصى لابنه شيت وكان فيه وفى بنيه النبوة والدين وأنزل عليه تسع وعشرون صحيفة وأنه جاء إلى مصر وكانت تدعى بايلون فنزلها هو وأولاد أخيه فسكن شيت فوق الجبل وسكن أولاد قابيل أسفل الوادى واستخلف شيت ابنه أنوش واستخلف أنوش واستخلف ابنه قونان واستخلف قونان ابنه مهلائيل